



ديداكتيك القيم: منطلقات بيداغوجية

وتطبيقات ديداكتيكية

مادة التربية الإسلامية نموذجاً

ديداكتيك المواد

ذ. خالد البورقادي¹

تقديم:

اهتم المنهاج التربوي المغربي بموضوع القيم وعمل على إبرازها وإيلائها مكانة مهمة؛ حيث جعل من المداخل التي بني عليها المنهاج curriculum: مدخل التربية على القيم؛ والتي جعل في مقدمتها قيم العقيدة الإسلامية السمحة؛ وقيم التربية على المواطنة وقيم حقوق الإنسان الكونية.

وفي المستوى الثاني من المنهاج الميزو meso عند وضع دفاتر التحملات لتأليف الكتب المدرسية؛ تم التنصيب أيضاً على القيم؛ ثم في مناهج المواد المكونة للمنهاج أيضاً حضور القيم واضح وجلي.

لكن الإشكال المطروح: كيف يمكن التوفيق بين ما سَطَّر في الوثائق المنهجية التي ترسم السياسة التربوية للمنظومة والمتمثلة في: الميثاق الوطني للتربية والتكوين والكتاب الأبيض والرؤية الاستراتيجية 2015-2030 والكتب المدرسية باعتبارها أدوات لتصريف المنهاج، وأيضاً التوجيهات التربوية لكل مادة، وبين الممارسة الصفية والاشتغال الديداكتيكي داخل الفصول؟

الأهداف العلمية للدراسة:

- رصد الجانب القيمي في الوثائق المنهجية السالفة الذكر؛
- الكشف عن الاختلالات المنهجية والتربوية الواردة فيها على مستوى القيم وتحديداتها؛
- إبراز إشكالية تدريس القيم وتقويمها في الممارسة الصفية والاشتغال الديداكتيكي.
- اقتراح منهجية ديداكتيكية لتعليم القيم وتقويمها في مادة التربية الإسلامية

¹ مفتش التعليم الثانوي التأهيلي، باحث في علوم التربية والديداكتيك

محاوِر الدراسة:

- 1- المبحث الأول: القيم في الوثائق المنهاجية
- 2- المبحث الثاني: سؤال ديداكتيك القيم بين التنظير والممارسة في مادة التربية الإسلامية
- 3- المبحث الثالث: في سبيل التأسيس لتدريسية القيم في مادة التربية الإسلامية
- 4- خاتمة البحث ونتائجه

المبحث الأول: القيم في الوثائق المنهاجية

شكّل مجال القيم إحدى المداخل الثلاث للمنهاج curriculum التربوي المغربي: مدخل التربية على القيم؛ مدخل التربية بالاختيار؛ ثم اعتماد المقاربة بالكفايات؛ وقد كانت وثيقة الميثاق حريصة على التنصيص على القيم التي ينبغي للمدرسة المغربية أن تعمل على نقلها وإكسابها للمتعلمين.

أ- القيم في الميثاق الوطني للتربية والتكوين

يعد الميثاق الوطني للتربية والتكوين الوثيقة المنهاجية الرئيسة؛ والفلسفة المؤطرة للفعل التربوي وللمنظومة التربوية المغربية؛ ورُغم صدور وثائق منهاجية أخرى: البرنامج الاستعجالي؛ الرؤية الاستراتيجية 2015-2030؛ - ما زال الميثاق هو المُعبر عن المنهاج التربوي المغربي بشكل رسمي، وبالرجوع إليه؛ نجد الحرص على الانطلاق من المجال القيمي واضحاً جلياً؛ ففي المرتكزات التي قدمتها الوثيقة نجد: "يهتدي نظام التربية والتكوين للملكة المغربية بمبادئ العقيدة الإسلامية وقيمها الرامية لتكوين المواطن المتصف بالاستقامة والصلاح؛ المتسم بالاعتدال والتسامح؛ الشغوف بطلب العلم والمعرفة في أرحب آفاقهما؛ والمتوقد للاطلاع والإبداع، والمطبوع بروح المبادرة الإيجابية والإنتاج النافع"².

فوثيقة الميثاق حددت المرجعية القيمية للمنظومة في قيم العقيدة الإسلامية؛ وعلى رأسها قيم: الاستقامة والصلاح؛ الاعتدال والتسامح؛ حب العلم والمعرفة؛ ثم المبادرة والإيجابية.

وفي المرتكز الثاني من الميثاق تحديد بعض مواصفات المواطن/ المتعلم: "...متشبعون بروح الحوار وقبول الاختلاف وتبني الممارسة الديمقراطية في ظل دولة الحق والقانون"³. حيث نجد قيم التشبع بروح الحوار وقبول الاختلاف؛ والممارسة الديمقراطية، بما يتماشى ونُشدان المجتمع الديمقراطي.

²- الميثاق الوطني للتربية والتكوين؛ ص: 8.

³- نفس المرجع ونفس الصفحة.

وقد كان واضعو الميثاق وَاَعَيْنَ بأهمية إكساب القيم للناشئة وأن هذه العملية من أهم وظائف النظام التربوي المغربي وفي مقدمة غاياته؛ جاء في الوثيقة: "ينبغي لنظام التربية والتكوين أن ينهض بوظائفه كاملة تجاه الأفراد والمجتمع وذلك:

منح الأفراد فرصة اكتساب القيم والمعارف والمهارات التي تؤهلهم للاندماج في الحياة العملية"⁴. حيث اكتساب القيم هدفٌ رئيسٌ من أجل اندماج سليم في الحياة المجتمعية.

كما أن من الأهداف الأساسية للمدرسة المغربية أن تكون: "أ - مفعمة بالحياة؛ بفضل نهج تربوي نشيط يجاوز التلقي السلبي والعمل الفردي إلى اعتماد التعلم الذاتي والقدرة على الحوار والمشاركة في الاجتهاد الجماعي؛

ب - مفتوحة على محيطها بفضل نهج تربوي قوامه استحضار المجتمع في قلب المدرسة؛ والخروج إليه منها بكل ما يعود بالنفع على الوطن؛ مما يتطلب نسج علاقات جديدة بين المدرسة وفضائها البيئي والمجتمعي والثقافي والاقتصادي"⁵.



وفي المجال الثاني: التنظيم البيداغوجي؛ نجد الحديث عن القيم صريحا أيضا؛ خاصة بالسلك الأولي والابتدائي، فمن الأهداف التي يسعى إليها هذا السلك: "التشبع بالقيم الدينية والخلقية والوطنية والإنسانية ليصبحوا مواطنين معتزين بهويتهم وبتراثهم وواعين بتاريخهم ومندمجين فاعلين في مجتمعهم"⁶. وعُدَّ مدخل القيم أساسيا للتنشئة الاجتماعية للطفل وتحقيق استقلالته من خلال "تعليم القيم الدينية والخلقية والوطنية الأساسية"⁷.

⁴- الميثاق الوطني للتربية والتكوين؛ ص: 9.

⁵- الميثاق الوطني للتربية والتكوين؛ ص: 9.

⁶- الميثاق؛ ص: 24.

وبالسلك الأول من المدرسة الابتدائية حدد له الميثاق مجموعة من الأهداف يرمي إلى تحقيقها من بينها:

"تملك قواعد الحياة العامة الجماعية وقيم المعاملة الحسنة والتعاون والتضامن"⁸. فتم التركيز على القيم التواصلية والاجتماعية لأهميتها في بناء شخصية المتعلم.

وبالسلك الثاني من المدرسة الابتدائية من أهدافه أيضا: "تعميق وتوسيع المكتسبات المحصلة خلال السلكين السابقين في المجالات الدينية والوطنية والخلقية"⁹.

ويلاحظ أن الميثاق حين حديثه عن السلك الإعدادي وأهدافه ومواصفات المتعلم بهذا السلك لم ينص على قيم معينة بشكل صريح؛ في حين تم التنصيص على مجالات للمعارف والمهارات والكفايات المنتظرة في نهاية السلك. لكن نجد بعض التلميحات والإشارات للقيم بشكل ضمني: "ترمي المدرسة الإعدادية إلى ما يلي: (...)"؛

■ التمرن على معرفة ممنهجة للوطن والعالم على المستوى الجغرافي والتاريخي والثقافي؛

■ معرفة الحقوق الأساسية للإنسان وحقوق المواطنين المغاربة وواجباتهم"¹⁰.

فهل يكفي المتعلم أن يتعرف المفاهيم المرتبطة بمجال حقوق الإنسان والمواطنة لنقول أنه اكتسب القيم؟ أم أن المعرفة le savoir ليست إلى مرحلة أولى للاكتساب acquisition والتَّمَثُّلُ القيمي؟

والغريب أن حديث الميثاق عن السلك الثانوي التأهيلي بدأ خاليا من كل إشارة إلى القيم واكتسابها وتشربها رغم المرحلة المهمة والحاسمة لهذا السلك في بناء اختيارات المتعلمين وتوجهاتهم وصناعة الميول وترسيخ القيم! فهي مرحلة نمو ونضج نفسيين وعقليين وجسميين. في حين نجد تفصيلا دقيقا بشأن الهندسة البيداغوجية للسلك والإلحاح على التكوين المهني والتقني وتمهيد المتعلمين استجابة لحاجات سوق الشغل وتأهيلهم لذلك.

وفيما يلي يمكن أن نحدد بعض القيم والمجالات القيمية المنصوص عليها في الميثاق:

مجالات القيم: قيم العقيدة الإسلامية – قيم المواطنة – قيم حقوق الإنسان – القيم الدينية – القيم الوطنية – القيم الإنسانية.

⁷ - الميثاق؛ ص: 26.

⁸ - الميثاق؛ ص: 25.

⁹ - الميثاق؛ ص: 27.

¹⁰ - الميثاق؛ ص: 27.

بعض القيم المذكورة في الميثاق: الاستقامة – الصلاح – الاعتدال – التسامح – حب العلم – المبادرة الإيجابية – الحوار – قبول الاختلاف – الممارسة الديمقراطية – المعاملة الحسنة – التعاون – التضامن.

ب – القيم في الكتاب الأبيض¹¹ le livre blanc

يعد الكتاب الأبيض الأجرأة العملية لتوجهات واختيارات الميثاق الوطني للتربية والتكوين؛ فهو يمثل المستوى الثاني من مستويات المنهاج التربوي: الميزو méso؛ إذ عمل على تدقيق ما سُطر في الميثاق من حيث مناهج المواد الدراسية ورسم الهندسة البيداغوجية للأسلاك الثلاث (ابتدائي ثانوي إعدادي – ثانوي تاهيلي)؛ ووضع الأغلفة الزمنية للمواد والأهم في كل ذلك انتقاء واختيار المحتويات الملأمة لتحقيق المخرجات المسطرة للمنهاج. والكتاب الأبيض يقع في ثمانية أجزاء وأزيد من 1930 صفحة من اشتغال لجان مراجعة المناهج التربوية المغربية مركزيا وجهويا. وتوزعت أجزاءه على الشكل التالي:

الجزء الأول: الاختيارات والتوجهات التربوية

الجزء الثاني: المناهج التربوية في التعليم الابتدائي

الجزء الثالث: المناهج التربوية للسلك الإعدادي

الجزء الرابع: المناهج التربوية لقطب التعليم الأصيل

الجزء الخامس: المناهج التربوية لقطب الآداب والإنسانيات

الجزء السادس: المناهج التربوية لقطب الفنون

الجزء السابع: المناهج التربوية لقطب العلوم

الجزء الثامن: المناهج التربوية لقطب التكنولوجيات.

وقد خُصص الجزء الأول كما سلف؛ للاختيارات والتوجهات التربوية ومن ضمنها المجال القيبي، جاء في الوثيقة:

" اختيارات وتوجهات في مجال القيم

انطلاقا من القيم التي تم إعلانها كمرتكزات ثابتة في الميثاق الوطني للتربية والتكوين، والمتمثلة في:

- قيم العقيدة الإسلامية؛

¹¹ - جُرث في دولة تونس عملية إصلاح تربوي خلال سنة 2016 (شهر ماي) تحت نفس الاسم: الكتاب الأبيض، ولعل الأمر مقتبس بشكل أساس من التجربة الفرنسية التي اعتمدت بدورها ما سمته الكتاب الأبيض le livre blanc. !.

- قيم الهوية الحضارية ومبادئها الأخلاقية والثقافية؛

- قيم المواطنة؛

- قيم حقوق الإنسان ومبادئها الكونية.

وانسجاما مع هذه القيم، يخضع نظام التربية والتكوين للحاجات المتجددة للمجتمع المغربي على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي من جهة، وللحاجات الشخصية الدينية و الروحية للمتعلمين من جهة أخرى.

ويتوخى من أجل ذلك الغايات التالية:

- ترسيخ الهوية المغربية الحضارية والوعي بتنوع وتفاعل وتكامل روافدها؛

- التفتح على مكاسب ومنجزات الحضارة الإنسانية المعاصرة؛

- تكريس حب الوطن وتعزيز الرغبة في خدمته؛

- تكريس حب المعرفة وطلب العلم والبحث والاكتشاف؛

- المساهمة في تطوير العلوم والتكنولوجيا الجديدة؛

- تنمية الوعي بالواجبات والحقوق؛

- التربية على المواطنة وممارسة الديمقراطية؛

- التشبع بروح الحوار والتسامح وقبول الاختلاف؛

- ترسيخ قيم المعاصرة والحداثة؛

- التمكن من التواصل بمختلف أشكاله وأساليبه؛

- التفتح على التكوين المهني المستمر؛

- تنمية الذوق الجمالي والإنتاج الفني والتكوين الحرفي في مجالات الفنون

والتقنيات؛

- تنمية القدرة على المشاركة الإيجابية في الشأن المحلي والوطني.

يعمل نظام التربية والتكوين بمختلف الآليات والوسائل للاستجابة للحاجات الشخصية للمتعلمين المتمثلة فيما يلي:

- الثقة بالنفس والتفتح على الغير؛
- الاستقلالية في التفكير والممارسة؛
- التفاعل الإيجابي مع المحيط الاجتماعي على اختلاف مستوياته؛
- التحلي بروح المسؤولية والانضباط؛
- ممارسة المواطنة والديموقراطية؛
- إعمال العقل واعتماد الفكر النقدي؛
- الإنتاجية والمردودية؛
- تثمين العمل والاجتهاد والمثابرة؛
- المبادرة والابتكار والإبداع؛
- التنافسية الإيجابية؛
- الوعي بالزمن والوقت كقيمة أساسية في المدرسة وفي الحياة؛
- احترام البيئة الطبيعية والتعامل الإيجابي مع الثقافة الشعبية والموروث الثقافي والحضاري المغربي¹².

فالقيم على المستوى الميزو من المنهاج التربوي curriculum ممثلا في الكتاب الأبيض كان أكثر تفصيلا للقيم وتحديد مجالاتها؛ حيث قسمها إلى أربعة أقسام:

¹² - الكتاب الأبيض: الوثيقة الإطار للاختيارات والتوجهات التربوية؛ ص: 11-12

- قيم العقيدة الإسلامية؛

- قيم الهوية الحضارية ومبادئها الأخلاقية والثقافية؛

- قيم المواطنة؛

- قيم حقوق الإنسان ومبادئها الكونية.

كما صنفها حسب حاجيات المجتمع وحاجيات الفرد/ المتعلم. وهذا تصنيف جيد يُنتظر أن ينعكس في المواد والبرامج والمقررات الدراسية لكل مادة من المواد المشكلة للمنهاج.



لكنّ تنزيل هذه القيم وتصريفها في المقررات الدراسية للمواد المكونة للمنهاج إلى أي حد تم بشكل تكاملي ومنسجم ونسقي؟

فمعلوم أن النظريات الحديثة في المناهج تتحدث عن المنهاج المترابط والنشط؛ ومن شروطه تكامل المواد وتقاطعها وانسجامها لتشكيل كلاً متكاملًا، غير أن واقع الحال والممارسة التربوية الميدانية؛ وتتبع برامج المواد ومقرراتها؛ يدل على خلاف ذلك، فما زال المنهاج التربوي المغربي يتشكل من جزر متناثرة بين مواد؛ بل متنافرة من حيث التضارب القيمي أحيانًا. وغير خافٍ على المتخصص ما يشكله ذلك من اضطراب في بناء شخصية المتعلمين !.

المبحث الثاني: سؤال "ديداكتيك القيم" بين التنظير والممارسة في مادة التربية الإسلامية

عرف منهاج المادة عملية مراجعة جذرية وتغيير في يونيو 2016، في سياقات دولية ومحلية تحدثنا عنها في وقتها¹³. كما تناولناه بالدراسة والتحليل والنقد في غير موضع، لكن الوثيقة الحالية تعد متقدمة ومتطورة مقارنة بسيرورة المادة وما عرفه منهاجها من تعديلات وتغييرات. بل نزعم أن منهاج المادة الحالي، يعد متقدما على كثير من المواد المشكّلة للمنهاج التربوي المغربي؛ من حيث بناؤه ووضوح رؤيته.

القيم في منهاج مادة التربية الإسلامية (يونيو 2016)

حدّد منهاج المادة منطلقات عملية المراجعة، وتحدث عن الاختيارات والتوجهات العامة للإصلاح التربوي، ومنها اختيارات وتوجهات في مجال القيم، حيث استقاهها من مرتكزات الميثاق الوطني للتربية والتكوين¹⁴، التي تحدثنا عنها آنفا. وأولت وثيقة المنهاج حديثا نوعيا عن مسألة القيم؛ والتنصيص عليها في غير ما موضع، ففي مواصفات المتعلم بالثانوي نجد منها ما يرتبط بالقيم، فتتمثل هذه المواصفات في جعل المتعلم:

- متشبعا بقيم الدين الإسلامي، ومعتزا بهويته الدينية والوطنية، محافظا على تراثه الحضاري، محصنا ضد كل أنواع الاستلاب الفكري؛

- منفتحا على قيم الحضارة المعاصرة في أبعادها الإنسانية؛

- ملما بقيم الحداثة والديموقراطية وحقوق الإنسان المنسجمة مع خصوصيته الدينية والوطنية والحضارية؛

- متمسكا بالسلوك القويم المعتدل والمتسامح والمثل العليا المستمدة من روح الدين الإسلامي¹⁵.

ولعل النّصّ على هذه القيم هو ترجمة للقيم الواردة في الميثاق والكتاب الأبيض باعتبارهما وثيقتين منهاجيتين أساسيتين للمنهاج التربوي المغربي، لكن منهاج المادة لم يشر إلى ذلك بوضوح.

وفي المواصفات المرتبطة بالكفايات والمضامين، نجد حضورا أيضا للقيم، من ذلك أن هذه المواصفات تجعل المتعلم:

¹³ - نشرت دراسة في الموضوع بمجلة الفرقان المغربية؛ عدد 1438/78-2016، ومجلة النداء التربوي المحكّمة؛ العدد 19. بينت فيها أسباب ودواعي المراجعة والسياقات المتحكمة في ذلك.

¹⁴ - وزارة التربية الوطنية، مديرية المناهج، منهاج التربية الإسلامية بسلكي التعليم الثانوي الإعدادي والتأهيلي العمومي والخصوصي. يونيو 2016. ص: 3.

¹⁵ - منهاج التربية الإسلامية، ص: 4-5.

- قادرا على معرفة ذاته المتشعبة بالقيم الإسلامية السمحة والقيم الحضارية، وقيم المواطنة، وحقوق الإنسان، وبلورة ذلك في علاقته بالآخرين؛

- ملما بمكونات الثقافة العربية الإسلامية والانفتاح على مختلف الثقافات؛

- متمكنا من توظيف الوسائل التكنولوجية المعاصرة من أجل استدماج قيم العقيدة الإسلامية¹⁶.

فطبيعي جدا أن نجد الحديث عن القيم فيما هو مرتبط بالكفايات؛ إذ مفهوم الكفاية يتسع ليشمل استدماج القيم والمواقف والاتجاهات ضمن الموارد المعبأة من طرف المتعلم لحل وضعية مشكلة أو فئات من الوضعيات. فهنا حديث واضح عن استدماج القيم انطلاقا من المفهوم العلمي للكفاية، مما يعد انفتاحا للمنهاج الجديد للمادة على ديداكتيك القيم بشكل صريح.

ونجد في المرجعيات؛ خاصة مرجعية العلوم الإنسانية حديث الوثيقة عن الانفتاح على فلسفة القيم ومنظومة حقوق الإنسان المتعارف عليها دوليا¹⁷.

وعند تحديد الغاية من التربية الإسلامية؛ تقول الوثيقة:

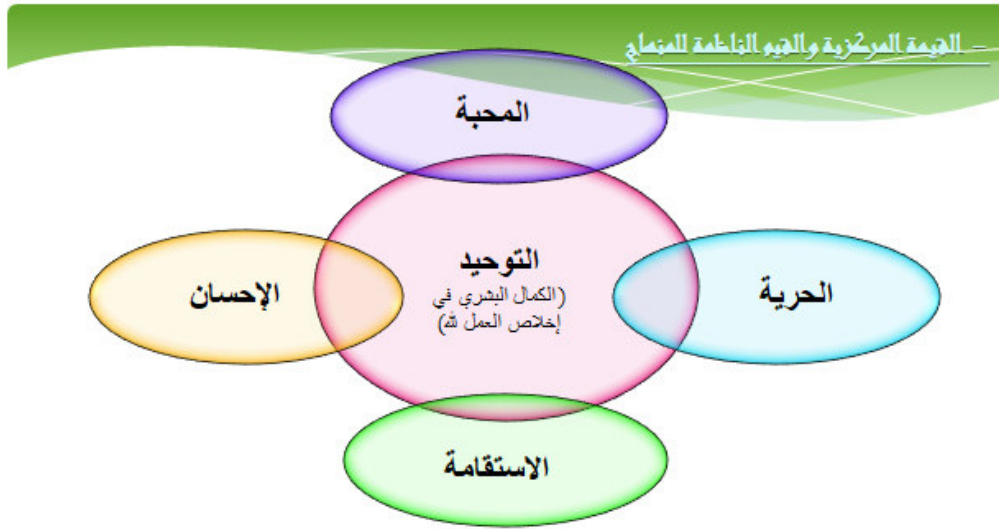
"والغاية من التربية الإسلامية تحقيق التوازن في كيان الإنسان بين جوانب الشخصية كلها: فالمعرفة وتمثل القيم يقودان إلى التطبيق وتغيير السلوك، وهكذا تجمع التربية الإسلامية بين بناء المعرفة والتدريب على المهارة وبناء القيم"¹⁸، فصرنا نتلمس قاموساً يمتدح من حقل ديداكتيك القيم، ويتحدث عن استدماج القيم؛ وتمثل القيم؛ وبناء القيم.. وهذا لم يكن موجودا في الوثائق المنهجية السابقة الخاصة بالمادة.

ليصل المنهاج الجديد إلى تحديد قيمة مركزية هي قيمة التوحيد، وقيم ناظمة للمنهاج: المحبة؛ الحرية؛ الاستقامة؛ والإحسان.

¹⁶- منهاج التربية الإسلامية، ص: 5.

¹⁷- المرجع نفسه؛ ص: 6.

¹⁸- المرجع نفسه؛ ص: 7.



لذلك جاءت قيمة التوحيد مهيمنة على المقاصد التي حددها المنهاج:

- المقصد الوجودي الذي يتحقق من خلال الإيمان بالله وعبادته؛
 - المقصد الكوني الذي يتحقق من خلال الاقتداء بأنموذج الكمال الخلقى القادر على توحيد البشرية؛
 - المقصد الحقوقي الذي يحرر الإنسان بالعدل والمساواة تكريماً له؛
 - المقصد الجودي الذي يتحقق بالمبادرة إلى النفع والمساعدة إلى بذل الخير¹⁹
- وببقى النَّفسُ القيبي مهيمنة على أهداف المنهاج؛ فقد وضع المنهاجُ عشرة أهداف يسعى لتحقيقها منها ستة متعلقة بالجانب القيبي وهي:
- بناء الشخصية الإسلامية المتوازنة والمنفتحة عند المتعلم؛
 - تنشئة المتعلم على قيم التعايش والتكافل والتضامن والتسامح والانفتاح واحترام الآخر؛
 - ترسيخ عقيدة التوحيد وقيم الدين الإسلامي على أساس الإيمان النابع من التفكير والتدبر والإقناع، وتثبيتها في نفس المتعلم انطلاقاً من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة؛
 - التثبث بالهوية الدينية والثقافية والحضارية المغربية؛

¹⁹- فارس محمد ومومي الراضي، إشكالية تقويم القيم في مادة التربية الإسلامية، الطبعة الأولى: 2018 منشورات مركز مداد. مطبعة أنفو برانت فاس. ص: 97.

- اكتساب قيم وأخلاق وميولات أصيلة تنمو وتنتج على التراث الوطني والعالمي؛

- اتخاذ المواقف والتصرفات المناسبة تبعاً للتعليمات والمكتسبات²⁰.

وفي انسجام مع مقاربة التدريس بالكفايات؛ حدد المنهاج كفايات كل مستوى دراسي بالتعليم الثانوي، مستحضراً استدماج القيم ضمن الموارد اللازمة لحل وضعية مشكلة في نهاية السنة الدراسية.

القيم في دفاتر التحملات والكتب المدرسية:

إن الكتاب المدرسي يعد الأداة الرئيسة لتصريف المنهاج التربوي؛ إذ هو آلية من أهم الآليات الأساسية في العملية التعليمية التعلمية؛ كما أنه أداة موضوعة رهن إشارة المدرسين والمدرسات لأداء مهامهم وفق ضوابط محددة ومنهجية؛ وهو المرجع الأساسي للتعلم والمدرس على السواء، عليه يعتمدان وإليه يرجعان؛ فهو ينظم المعرفة المعدة للتدريس وفق الأهداف المسطرة للمنظومة والمواصفات المطلوبة للتعلم.

تعريف الكتاب المدرسي

يذهب دولاندشير إلى أن الكتاب المدرسي مؤلف ديداكتيكي؛ تم إعداده لتعلم المعارف التي أعدت لبرنامج؛ أو إنه يشكل مضمون علم؛ أو مجموعة علوم محددة؛ يمكن استيعابها. (Landsheere, V, 1992).

وعند Legendre: "هو كتاب مطبوع موجه إلى التلميذ. وقد تصاحبه بعض الوثائق السمعية- البصرية أو وسائل أخرى بيداغوجية؛ تعالج مجموع العناصر الهامة في مقرر دراسي للسنة أو لمجموع السنوات"²¹.

أما الأستاذ أحمد أوزي فيعرفه قائلاً: "يطلق مصطلح الكتاب المدرسي على نوع خاص من الكتب أعدت خصيصاً لتكون في متناول المتعلمين؛ كما تدل على ذلك لفظة (Manuel) الفرنسية، وهو يتناول ما يمكن معرفته حول موضوع أو مجموعة مواضيع أو مادة معينة يقدمها بطريقة ميسرة للتعلم"²².

فالكتاب المدرسي هو وثيقة وأداة مطبوعة ومنظمة وفق ضوابط بيداغوجية وديداكتيكية؛ موجهة للاستعمال في صيرورة تعلم وتكوين متفق عليه.

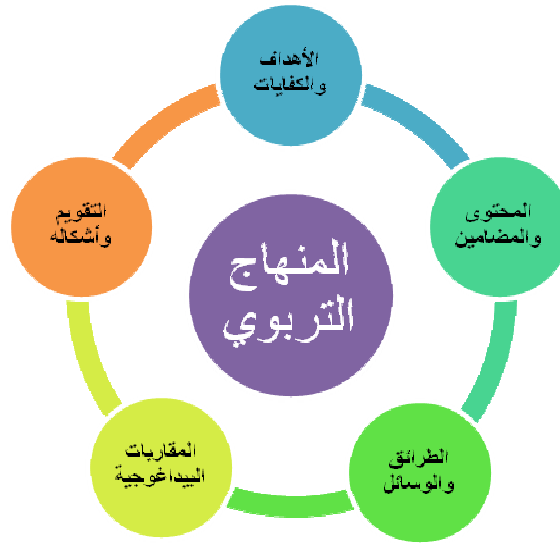
²⁰ - منهاج التربية الإسلامية، ص: 10.

²¹ - Dictionnaire actuel de l'éducation. Guérin Montréal, Canada. 2005

²² - المعجم الموسوعي الجديد لعلوم التربية. د. أحمد أوزي؛ ص: 347؛ منشورات مجلة علوم التربية العدد 42. طبعة 2016.

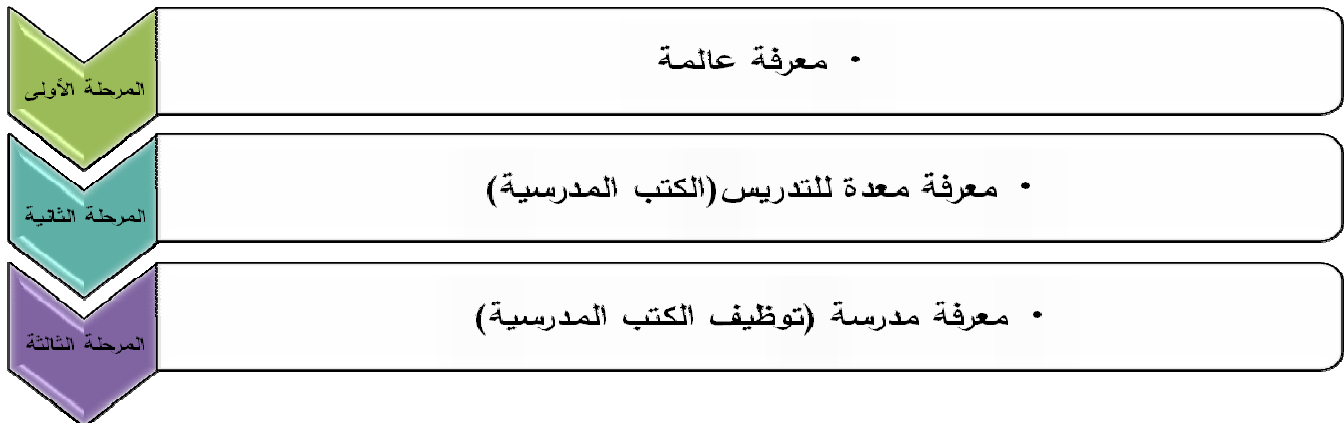
الكتاب المدرسي آلية تصريف للمنهاج التربوي

يُعبّر المنهاج الدراسي curriculum عن جميع ما تقدمه المدرسة من الخبرات والمعارف والمهارات والكفايات للمتعلم تمكنه من الاندماج في المجتمع وتحقيق أهدافه، ويشير المنهاج أيضا إلى مجموع الأهداف والكفايات المرجوة من المنظومة التربوية ككل؛ ثم المحتويات والمضامين المراد تدريسها للمتعلمين مع الطرائق والوسائل والمقاربات البيداغوجية وآليات وأشكال التقويم على طول وعرض مستويات المنهاج.



وبذلك يحيل مفهوم المنهاج على السيرورة التي تقطعها المعرفة الموظفة لتتحول من معرفة أكاديمية عامة سابحة في الحقول الإستمولوجية إلى معرفة معدة للتدريس من خلال تصريفها في الكتب المدرسية؛ ثم إلى معرفة مُدرّسة تُقدم للمتعلم في سياقات محددة وإيقاعات زمنية دقيقة؛ ثم معرفة مكتسبة من طرف المتعلمين يوظفونها في وضعيات مختلفة.

ويبقى الكتاب المدرسي هو القناة الرئيسة لتصريف المنهاج الدراسي؛ وهو يعد بمثابة تعاقد بين المدرس والمتعلمين وفق التوجهات الرسمية للوزارة.



وانطلاقاً من هذا؛ فالكتاب المدرسي هو الوعاء الذي يشتمل على المادة التعليمية التعليمية؛ ويعكس أسس المنهاج المختلفة: الأساس الفلسفي لقيم المجتمع؛ الأساس السوسيو-اقتصادي؛ والأساس السيكلوجي؛ والأساس الاجتماعي الذي يتضمن الخصائص الحضارية والمقومات الثقافية للمجتمع.

ومن البديهي أن تُوضع دفاتر تحملات لتأليف الكتب المدرسية تتضمن مجموعة من الضوابط البيداغوجية والفنية والتربوية من بينها:

- مراعاة القيم المنصوص عليها في الكتاب الأبيض؛
- الالتزام بتصريف هذه القيم في محتويات المواد الحاملة للقيم بشكل مباشر وخاصة: التربية الإسلامية؛ مواد الاجتماعيات: التاريخ – الجغرافيا؛ التربية على المواطنة؛ اللغة العربية؛ الفلسفة؛ اللغة الفرنسية؛ اللغة الإنجليزية..
- الأخذ بعين الاعتبار المستوى الدراسي وخصوصيات منهاج المادة في تحديد هذه القيم.

وإذا أخذنا منهاج مادة التربية الإسلامية كمثال ونموذج للمواد الحاملة للقيم؛ نجد في دفتر التحملات الذي أصدرته وزارة التربية الوطنية في يونيو 2016 بمناسبة مراجعة منهاج مادة التربية الإسلامية- ما يلي:

"المواصفات الخاصة بمحتوى الكتاب؛ (وذكرت الوثيقة من بينها):

ترسيخ القيم الإسلامية في بعدها الكوني كالقسط والرحمة والمحبة والتعارف؛ باعتبارها قيماً ربانية تشترك فيها الإنسانية استناداً إلى منطلق كون الإسلام رسالة عالمية؛ ورسولها رحمة للعالمين"²³.

فالوثيقة حددت قيماً بعينها ينبغي تصريفها في الكتب المدرسية؛ لكن يُلاحظ ضعف الانسجام والتناغم بين ما ورد في المنهاج وفي دفتر التحملات؛ فوثيقة المنهاج جعلت القسط مدخلاً من المداخل الخمس؛ وفي دفتر التحملات يعد قيمة، ولم نجد القيمة المركزية والقيم النازمة حاضرة بشكل مباشر. فحري بدفتر التحملات أن يؤكد على قيمة التوحيد المركزية؛ والقيم الأربع النازمة للمنهاج.

فالكتاب المدرسي يتضمن مجموعة من الأنشطة التعليمية التعليمية؛ وعدة دعائم مختلفة بين نصوص وصور وجداول...، لا تنفك في مجملها عن البُعد القيمي²⁴، لأن المضامين حمالة قيم؛ خاصة في درس التربية

²³- وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني؛ مديرية المناهج- ملحق دفتر التحملات الخاص بتأليف وإنتاج الكتب المدرسية؛ كتاب التلميذ(ة)- مادة التربية الإسلامية، جميع المستويات الدراسية بسلك الثانوي التأهيلي، يونيو 2016. ص: 2.

²⁴- منصف عبد الحق، الكتاب المدرسي والنقل الديداكتيكي بين إنتاج المعارف المدرسية وإعادة إنتاج القيم والإيديولوجيا الاجتماعية، مجلة دفاتر التربية والتكوين. العدد 3، ص: 37. (المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي).

الإسلامية. لذلك فالأهداف التعليمية والأنشطة والدعامات ينبغي أن تستحضر القيم والمواقف والاتجاهات المصرح بها في المنهاج.

وقد نص دفتر التحملات على احترام الضوابط التالية:

- الانضباط للمقاصد العامة الأربعة المؤطرة للمنهاج (الوجودي- الكوني- الحقوقي- الجودي)؛ في اختيار المضامين، وتنظيم التعليمات، وتقويم المكتسبات.

- ترجمة القيم النازمة للمنهاج في وضعيات تعليمية دالة عند المتعلم.

- البناء الديداكتيكي للكتاب المدرسي يجب أن يحرص على ترسيخ القيم الإسلامية في بعدها الكوني كالقسط والرحمة والمحبة والتعارف، باعتبارها قيما ربانية تشترك فيها الإنسانية استنادا إلى منطق كون الإسلام رسالة عالمية، ورسولها رحمة للعالمين²⁵.

ثم إن السؤال المطروح: إلى أي حد استطاعت لجان وفرق التأليف مراعاة هذه القيم وفق الدروس والمواضيع المحددة؟ وهل تم استحضارها في بناء هذه الدروس ديداكتيكيا؟.

في هذا الصدد أنجزت بعضُ البحوث بمركز تكوين مفتشي التعليم؛ حاولت الإجابة عن الإشكال، من خلال بحث ميداني أنجز على كتاب "في رحاب التربية الإسلامية" للسنة الأولى بكالوريا²⁶، وعبر تقنية تحليل المضمون، فكانت الخلاصة كالآتي:

حضور القيمة المركزية (التوحيد) والقيم النازمة في جميع المداخل، غير أن هناك تفاوتاً في نسبة هذا الحضور، فجاءت قيمة الاستقامة بنسبة 41%، وقيمة التوحيد 33%، وقيمة الإحسان بنسبة 15%، وقيمة المحبة بنسبة 11%²⁷.

المبحث الثالث: في سبيل التأسيس لتدريسية القيم في مادة التربية الإسلامية

إن الإشكال الذي يعاني منه المنهاج التربوي المغربي بخصوص إدماج القيم في البرامج والمقررات الدراسية؛ هو غياب النسقية والانسجام بين المواد، مما يؤثر بلا شك سلباً على القيم التي تروم كل مادة تمريرها وإكسابها للمتعلمين. كما أننا نلاحظ ضعف أو غياب الخيط الناظم للقيم عبر مستويات المنهاج الثلاث؛ في

²⁵- المرجع السابق، ص: 2.

²⁶- عبد المنعم الدقاق، القيم في مادة التربية الإسلامية بالتعليم الثانوي التأهيلي بين التصور المنهجي والتزليل الديداكتيكي.

(2018/2017) ص: 73 (بحث مرقون بمركز تكوين مفتشي التعليم بالرباط).

²⁷- المرجع نفسه، ص: 74.

حين نجد بعض النماذج من الأنظمة التربوية العالمية تعتمد قيما مركزية محددة تنبثق عنها مجموعة من القيم تتوزع مختلف المواد الدراسية الحاملة لها.

لكن الإشكال المذكور آنفا يزداد تعقيدا حينما ننتقل إلى التنزيل الديداكتيكي؛ فقد يكون المنهاج محكم البناء والانسجام، لكن تبقى عملية التنفيذ عليها الرهان في إكساب المتعلمين القيم المعلنة في المستويات العليا.

أ - الإطار المرجعي سبيل ضبط الاشتغال الديداكتيكي للأستاذ

يُعد الإطار المرجعي للمادة وثيقة تضبط الاشتغال الديداكتيكي للأستاذ في ظل تجربة تعدد الكتاب المدرسي التي أتى بها الميثاق الوطني للتربية والتكوين، ففيه تُضبط الموارد الدراسية resources؛ المقررة في المستوى المعين؛ وتعرف الكفايات والمهارات والقدرات المسطرة لهذا المستوى، كما تحدد شروط إنجاز التقويم. وإذا ما أخذنا الإطار المرجعي لمادة التربية الإسلامية كمثال فنجد أنه يحدد مجالات المادة وكفاية المستوى؛ ثم مُوجهات لتقويم الكفاية؛ والمهارات الأساسية المستهدفة بالتقويم؛ حيث ذكر منها:

- اتخاذ مواقف نظرية أو سلوكية مسؤولة في وضعيات تواصلية أو حياتية؛

- بناء قيم المبادرة الإيجابية لتحقيق النفع العام؛

- تسديد السلوك وتوجيهه على أسس العقيدة الإسلامية ومبادئها وبوسائل الإقناع والحوار²⁸.

وفي تنظيم المجال حددت الوثيقة القيم النازمة لمنهاج التربية الإسلامية للسنة الأولى من سلك البكالوريا كالآتي:

- القيمة المركزية: "التوحيد"

- القيم المتفرعة عنها: الحرية - الاستقامة - الإحسان - المحبة²⁹.

والجميل في الوثيقة أنها خصصت ستة نقط للمجال القيمي: ثلاث (3) نقط لاستخراج القيم وتوظيفها وتتضمن هذه العملية: تحديد القيمة - تثمين القيمة - اعتمادها في التقدير³⁰. ثم ثلاث نقط (3) أخرى لتحديد المواقف والتعبير عنها وتعليلها؛ وتتضمن هذه العملية: تحديد الموقف - التعبير عن الرأي -

²⁸ - وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني ؛ الإطار المرجعي لاختبار الامتحان الموحد الجهوي للسنة الأولى من سلك البكالوريا؛ 21 نونبر 2016. مذكرة رقم 16/101.

²⁹ - الإطار المرجعي ص: 6.

³⁰ - الإطار المرجعي ص: 7.

التعليل³¹. والمواقف لا تحدد إلا انطلاقاً من القيم التي اكتسبها المتعلم ولارتباطها بالجانب الوجداني بالدرجة الأولى.

تموقع القيم في الإطار المرجعي

مستويات إدراك وتمثل القيم	مراقبي السلم القيمي
المستوى المعرفي	تعرف القيمة
المستوى الوجداني	تثمين القيمة
المستوى السلوكي	اعتماد القيمة في التقدير
المستوى السلوكي	تحديد الموقف انطلاقاً من القيم

لكن مما يلاحظ على الوثيقة أنها صُنفت اتخذاً المواقف وبناء القيم وتوجيه السلوك وتسديده ضمن المهارات؛ وفي هذا من الخلط ما لا يخفى بين الموارد المكتسبة؛ حيث القيم والمواقف والاتجاهات عند المتعلمين هي ألصق بالجانب الوجداني وليس المهاري !.

بعد هذه القراءة في واقع القيم في منهاج المادة، يبقى إدماج القيم وإكسابها للمتعلمين رهين باشتغال ديداكتيكي فعال. فهل واقع الممارسة البيداغوجية يعكس التصورات والتوجيهات المسطرة بخصوص إدماج القيم في الممارسة الصفية؟

ب - واقع القيم في الممارسة الديداكتيكية

لقد اختار النظام التربوي المغربي اعتماد المقاربة بالكفايات *approche par compétence*؛ ونص عليها الميثاق الوطني للتربية والتكوين من أجل تجاوز الطابع التجزيئي الذي كانت عليه بيداغوجيا الأهداف؛ والتي ركزت على الاستجابات السلوكية للمتعلم بحيث يظل من الصعب ترسيخ وتقويم مكتسبات وقيم وجدانية وأخلاقية؛ أو مكتسبات اجتماعية معقدة³².

والكفاية كما هو متعارف عليه بين المشتغلين بالعملية التعليمية التعلمية؛ هي: "تعبئة مجموعة من الموارد: معارف - مهارات - قدرات - قيم - مواقف - .. من أجل حل وضعية مشكلة أو عائلة من الوضعيات"³³، وبذلك نلمس الطابع الكلي والشمولي للكفاية؛ والرهان على تنمية قدرات معرفية ووجدانية وسلوكية على المدى المتوسط أو البعيد (كفايات نوعية *compétences spécifiques*؛ كفايات مُمتدة

³¹- المرجع نفسه؛ والصفحة نفسها.

³²- الكفايات في التعليم؛ محمد الدريج. سلسلة المعرفة للجميع. العدد 16 منشورات رمسيس الرباط؛ أكتوبر 2000. ص: 38-39.

³³- تعريف كزافيي روجيرس الذي سقو للمشروع بالمغرب (بيداغوجيا الإدماج).

(compétences transversales)؛ كل ذلك يتم من خلال وضعيات situations ، فالتدريس بالوضعيات من المداخل الرئيسة للتدريس بالكفايات؛ ومعلوم أن القيم والسلوكات الأخلاقية تعكس تفاعل الفرد داخل وضعيات اجتماعية مختلفة بحيث نحكم على سلوكاته وتصرفاته في ضوء ما يصدر عنه إزاء الآخرين في ظل هذه الوضعيات.

ويعد الفصل الدراسي بقيادة المدرس الفضاء الفيزيقي والسيكولوجي المناسب لبناء القيم ومراقبتها وتعمدها بالتعليم والتثبيت والترسيخ؛ وتتبع مدى تحويل المتعلمين للقيم المكتسبة إلى سلوكات عملية من خلال وضعيات ومواقف يعبرون عنها، فلا يقتصر الأمر على تداول المعارف ومناقشتها وبنائها؛ بل يتعدى ذلك إلى التواصل مع مختلف أطراف العملية التعليمية التعليمية: مدرسين؛ إداريين؛ تلاميذ من مستويات أخرى؛ ... وهي عملية تكشف للمتبع عن مدى تمثّل المتعلم للقيم وتشرّحها. لكن إلى أي حد تستحضر الممارسة الديداكتيكية مسألة القيم وتعمل على غرسها في نفوس المتعلمين؟

إذا انطلقنا من واقع الممارسة الميدانية ومن الخبرة المتراكمة من خلال عملية الإشراف التربوي؛ نلاحظ أن المدرسة المغربية تعاني من أزمة قيم فظيعة تظهر مؤشرات في ظواهر "تربوية" مشينة لم تعرفها من ذي قبل: العنف المدرسي بشقّي تلاوينه وأشكاله؛ ظاهرة الغش في الامتحانات والاختبارات؛ إشكالية الاعتداء على ممتلكات المؤسسات التعليمية من طرف التلاميذ؛ ظاهرة التدخين والمخدرات في صفوف التلاميذ؛ ظاهرة الانحلال الخلقي والتفسخ القيمي لدى المتعلمين... كلها ظواهر تضرب في الصميم الأهداف النبيلة للمدرسة المغربية !

أما بخصوص مادة التربية الإسلامية، فنزعم أن منهاجها الجديد حقق طفرة نوعية في الحديث عن ديداكتيك القيم، انطلاقاً من وثيقة المنهاج كما سلف، وترجمة ذلك عملياً في عملية إنتاج الكتب المدرسية، ثم وصولاً إلى الأطر المرجعية المنظمة لأشكال التقويم والامتحانات؛ حيث أفردت لجانب القيم حيزاً معتبراً من حيث السُّلم القيمي، وسلم التنقيط في محاولة لأجراً تدريسية القيم التي تعد من أصعب المباحث في علوم التدريس بشكل عام.

ومن خلال تجربة الإشراف التربوي والمتابعة الميدانية، نسجل على أن تدريسية القيم عرفت تحولاً نوعياً مع المنهاج الجديد، من حيث التخطيط والتدبير والتقويم، وإن كان الأمر بنسب متوسطة، ومن خلال إجراءات تتسم بالعمومية وضعف الدقة العلمية والديداكتيكية.

فالمعينة الميدانية تظهر على أن الممارسة الديداكتيكية ما تزال قاصرة في تدريس القيم وتقويمها، فتقتصر في أفضل الأحوال على تعليم وتلقين المعارف؛ وفي بعض الأحيان قد تتجاوز ذلك للجانب المهاري،

أما الجانب الوجداني/القيمي فقد يتم التنصيص عليه في التخطيط، وفي الممارسة الصفية لا يعدو استخراج القيمة وتحديدها.

إن عملية تدريس القيم وتعليمها، لا ينفك نظريا عن الاشتغال وفق المقاربة بالكفايات؛ التي تقتضي اعتماد مدخل الوضعيات في التدريس، وعملية الإدماج والتحويل وما تقتضيه من استحضار للقيم³⁴.

ج- نحو منهجية ديداكتيكية لتدريس القيم وتقويمها في درس التربية الإسلامية

إن عملية الاشتغال الديداكتيكي تبتدئ بالتخطيط للعملية التعليمية التعلمية؛ ووضع السيناريو البيداغوجي المقترح من طرف المدرس على مستويات ثلاث:

✚ على مستوى التخطيط

يقوم التخطيط لتدريس القيم على المعرفة التي يمتلكها المدرس حول القيمة، سواء في أبعادها النظرية؛ كتعريفها وخصائصها وفوائدها، أم على مستوى أبعادها التطبيقية التي تتعلق بمدى إدراكه وفهمه للأهداف الوجدانية وتصنيفها وأساليب تدريسها وتقويمها. ومن أهم الصُّنَافَات في مجال القيم نذكر صِنَافَةَ كِرَاثُوول (1964) والتي حددها في خمسة مراقي:

-الاستقبال؛

- الاستجابة؛

- إعطاء قيمة أو التقييم؛

- التنظيم القيمي أو التنظيم؛

- تمثل القيمة؛

³⁴-Roegiers Xavier : une pedagogie de l'integration. De boeck. Bruxelles,2001,p :65

Affective domain البعد الوجداني			
	التميز أو الوسم بالقيمة	تطابق السلوك مع القيم الذاتية	
	التنظيم	الالتزام بالقيم	
	التقدير والتثمين	تكون القنوات	
	الاستجابة/إظهار الاهتمام	التفاعل مع الظاهرة	
	الاستقبال/الاستماع	الانتباه لظاهرة ما أو مثير ما	

فئات الأهداف في المجال الوجداني/العاطفي (تصنيف كراثول)

صنافة كراثول للأهداف الوجدانية



أمثلة على صنافة القيم

لذلك نقترح أن يعتمد المدرس إلى التخطيط لتدريس القيم على مستويين:

-المدى القريب: لدرس أو حصة، ويحدد القيمة أو القيم المستهدفة بالتعليم؛ تعرفا وتحديدًا واستدماجا وتمثلاً.

المدى المتوسط والبعيد: جرد القيم المتضمنة في دروس المداخل الخمس خلال الأسدوس أو السنة الدراسية، وتصنيفها وترتيبها من حيث ارتباطها بالقيمة المركزية: التوحيد، والقيم الأربع النازمة للمناهج حتى يدرك المتعلم الخيط النازم للبناء القيمي في دروس المادة ككل. ثم توضيح مستوى بروز القيم إما بشكل صريح أو بشكل ضمني.

على مستوى التدبير والتنفيذ

تبعاً للمستوى السابق؛ تعليم القيم ينبغي أن يكون حاضراً أثناء الاشتغال الديداكتيكي، وأول خطوة في ذلك: تحديد هدف وجداني قيمي ضمن الأهداف التعليمية للدرس المزمع إنجازه، والسعي إلى تحقيقه. وانطلاقاً من ذلك تحدد القيمة التي ستتم مدارسها ومعالجتها رفقة المتعلمين. وحتى يكون تعليم القيم يتسم بالدقة والعلمية المطلوبة؛ لابد من تحديد مستوى المعالجة تبعاً لمراقي الصنافة السابقة أو غيرها. فقد يتدرج المدرس من التوعية بالقيمة إلى استيعاب أبعادها، ثم الإقناع بأهميتها، والسعي نحو تمثيل القيمة سلوكياً. وتبعاً لذلك الاختيار؛ يتحدد المحتوى المعرفي، والدعامات المناسبة من نصوص شرعية أو صور أو مقاطع فيديو.. تخدم القيمة المحددة وتسعى إلى غرسها في نفوس المتعلمين.

على مستوى التقويم

ما زال الإشكال العويص الذي تعاني منه المنظومة التربوية جملة هو مسألة التقويم؛ فرغم تبني المنظومة للمقاربة بالكفايات والتي من المفروض أن تستهدف تقويم الكفاية في شموليتها، غير أن واقع الممارسة والميدان يكشف بالوضوح التام أن التقويم في منظومتنا يستهدف المعارف ليس إلا. فأن تطلب من المتعلم أن يمسك الورقة والقلم وتطلب منه أن يجيب على أسئلة معينة فلا يعدو تقويم البعد المعرفي فقط! لذلك فإن اعتماد أسلوب التقويم السائد لا يسعف في إجراء تقويم علمي ودقيق للقيم.

فللحصول على معلومات متسقة عن خاصية وجدانية معينة، فإن الاستدلال عليها من السلوك يصعب إجراؤه من استجابة واحدة للمتعلم، بل يتطلب الحصول على استجابات متعددة متماثلة بشكل ما، أو ملاحظة سلوكه في مواقف متنوعة ومشابهة³⁵.

³⁵- علام؛ صلاح الدين محمود، القياس والتقويم التربوي والنفسية أساسياته وتطبيقاته وتوجهاته المعاصرة. دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، 2000. ص: 176.

ومما يمكن أن يفعل إجرائيا في تقويم القيم داخل الفصول والمؤسسات التعليمية:

- ☞ الاشتغال مع المتعلمين عبر مشاريع شخصية PORTFOLIO تُظهر كفايات المتعلم المتنوعة، وتمكن من تتبع وقياس اكتساب القيم وتمثلها ونموها؛
- ☞ المقابلة الشخصية: فيها يوجه المدرس مجموعة من الأسئلة المفتوحة إلى المغلقة إلى المتعلم، ويطلب منه الإجابة شفويا. ومن خلال الحوار والمناقشة والسؤال والجواب، وتبادل الأفكار والآراء، يحدد مدى استجابة الطالب وموقفه من قيمة معينة³⁶.
- ☞ الملاحظة المنظمة: تتبع وملاحظة سلوك المتعلم، يعد من الأساليب المباشرة لتقويم تحقق الأهداف الوجدانية واكتساب القيم.
- ☞ استثمار نتائج تقارير مجالس الأقسام: من شأنه أن يمنح المدرس معطيات وبيانات عن مدى اكتساب المتعلم للقيم وتمثلها؛
- ☞ استثمار نقطة المواظبة والسلوك وإشراك الأساتذة في عملية التقويم من خلال آلية مجالس الأقسام، وأن لا تقتصر في مؤشرات على الحضور والغياب، بل السلوك القيمي للمتعلم داخل الفصول والمؤسسة؛
- ☞ إدماج نقطة القيم ضمن معايير ومؤشرات نقطة الأنشطة المندمجة المعتمدة ضمن المراقبة المستمرة.

خاتمة: مقترحات عامة لترسيخ القيم

المتابع للمنهج التربوي المغربي يلحظ وجود مساحة مهمة للقيم على مستوى التنظير والوثائق؛ لكن ترجمة هذه التوجهات مازالت لم تحظ بما هو مطلوب للمقاربات البيداغوجية المعتمدة؛ لذلك نقترح في ختام هذه الدراسة/ البحث جملة أفكار نابذة من المعاينة الميدانية للممارسة الديداكتيكية:

❖ أهمية اللغة في ترسيخ القيم:

لابد من إيلاء العناية اللازمة للغة التدريس بما تحمله من قيم تمثل الهوية الحضارية والدينية للمتعلم؛ واللغة العربية تعد منجما غنيا للقيم في مفرداتها وتراكيبها وعلومها، إذ اللغة هي الوسيلة الأولى من بين الوسائل الرمزية في نقل المعرفة؛ وتدوين التراث والتعبير عن العواطف.. فهي ليست مجرد أصوات وكلمات

³⁶ - الجلال، ماجد زكي. تعلم القيم وتعليمها. تصور نظري وتطبيقي لطرائق واستراتيجيات تدريس القيم. دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة. عمان- الأردن. الطبعة الرابعة 2013/ 1434. ص: 204.

وعبارات ينطق بها الإنسان للتعبير عن حاجاته³⁷. إن ضعف التكوين اللغوي بهذا المعنى يعني انسلاخا عن الثقافة وعن الهوية؛ وتنصلا من القيم التي توارثها المجتمع عبر القناة التواصلية الأولى أي عبر اللغة. ومن هنا صح ما ذهب إليه المهدي المنجرة حين جعل اللغة هي المطلب الأول الذي تتوخاه كل عملية تعليمية؛ فضلا عن القيم والتمثلات؛ قال: "إن العناصر التي تتدرب بها كل عملية من عمليات التعلم؛ تشتمل على اللغة وعلى الأدوات وعلى القيم وعلى العلاقات الإنسانية وعلى التمثلات؛ ومن شأن التعلم للصيانة؛ من حيث نظرياته وممارساته؛ أن يمنح اللغة مكانة رفيعة على حساب العناصر والمجالات الأخرى"³⁸.

❖ هندسة تكوين مُتقنة لتخريج مدرسين أكفاء:

تبين من خلال ما تقرر آنفا أن الخلل في تعليم القيم وترسيخها مرتبط بشكل كبير منه بالممارسة الديداكتيكية تخطيطا وتنفيذا وتقويما؛ لأن ترسيخ منظومة القيم لدى المتعلمين تعتمد بالأساس على وجود مدرسين ذوي كفاءة عالية؛ فالمدرس "حجر الزاوية في العملية التربوية؛ وإنه يحتل مكان الصدارة بين العوامل التي يتوقف عليها نجاح التربية في بلوغ غاياتها؛ على اعتبار أنه لا يمكن الفصل بين مسؤوليات المعلم والتغييرات الأساسية التي تتم في المجتمع"³⁹. لذا فمن الواجب على الوزارة الوصية إعادة النظر في كيفية انتقاء واختيار المدرسين؛ فلم يعد مقبولا العبث بالمنظومة التربوية من خلال إجراءات ارتجالية لا تراعي المعايير العلمية لمهنة التربية والتعليم؛ فعبث محطات عدة لجأت الوزارة إلى إجراءات تقنية مستعجلة تلبية للخصاص في هيئة التدريس (التعيين المباشر كمثال) دونما مراعاة لقواعد المهنة التربوية وما يتطلبه مزاوله المهنة من تأهيل وتكوين تربويين.

كما أن الشرط المعرفي والإلمام بالمعارف والمعلومات؛ لم يعد كافيا لولوج المهنة؛ بل ينبغي إعادة الاعتبار لأخلاقيات المهنة وما تقتضيه من تحلٍ بالأخلاق الحسنة والصفات الحميدة للمدرس المستأمن على فلذات أكباد المغاربة؛ وما نسمعه ونقرأه من أحداث أخلاقية شنيعة تمس بسمعة هيئة التدريس وتحط من قدرها وتضرب هالة الاحترام والتقدير المفروض أن يكنه المجتمع للمدرس. وقد انتبه المجلس الأعلى للتعليم في تقريره سنة 2008 إلى هذه الحقيقة؛ فحدد للمدرس مهامها تجمع بين ما هو معرفي وما هو قيمي حيث أكد: "أن مهام المدرس لا تنحصر فقط في القسم فهو أيضا فاعل أساسي في المنظومة التربوية برمتها؛ حيث يعتبر التزامه ومشاركته سواء داخل المدرسة أو خارجها ضروريا لإنجاح إصلاح المنظومة الوطنية للتربية والتكوين. ومن هنا يكمن دور المدرس في القيام بالمهام التالية:

³⁷- وهابي عبد الرحيم؛ المناهج التعليمية ومنظومة القيم؛ ص: 64.

³⁸- المهدي المنجرة؛ قيمة القيم؛ مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء؛ الطبعة الثالثة 2008. ص: 38-39.

³⁹- المؤتمر الثالث لوزراء التربية العرب. جامعة الدول العربية - الإدارة الثقافية 1968. ص: 122.

- المساهمة في تربية المتعلمين اعتمادا على القيم الأخلاقية والإنسانية والحضارية التي يتقاسمها الجميع؛
- نقل المعارف والمهارات حسب المضامين والمناهج المصادق عليها؛
- إعداد الطلبة للاندماج الاجتماعي والمهني من خلال مساعدتهم على اكتساب الكفايات الضرورية والمساهمة في انفتاح شخصياتهم⁴⁰.

ومما يساعد على تطوير الاشتغال الديداكتيكي للمدرس تمهيده في مراكز التكوين ديداكتيكية وخاصة في مجال القيم: كيفية تعليمها وتعلمها؛ استحضارها في التخطيط لعمله وتنفيذه وتقويمه؛ والتدرب على إنتاج شبكات لتقويم القيم. كما لا يخفى دور المراكز في تأهيل المدرسين خلقيا وتحفيزهم والزامهم على احترام أخلاقيات المهنة؛ ولا شك أن هذا الأمر يدفع نحو الدعوة إلى مراجعة زمن التكوين وتطويره وفق هندسة بيداغوجية حديثة تستجيب لهذه الحاجيات والانتظارات.

❖ تنشيط الحياة المدرسية بما يسهم في غرس حقيقي للقيم:

تعد الحياة المدرسية la vie scolaire بتعدد فاعليها مجالا خصبا وفسحا لغرس القيم النبيلة في نفوس الناشئة؛ ولتنشيطها نقترح بعض الإجراءات العملية لتمرير القيم المسطرة في المنهاج التربوي:

🌱 إشراك المتعلمين في الأنشطة الموازية واستثمارها للتحسيس بأهمية القيم ودورها في بناء شخصية التلميذ(ة)؛

🌱 إنشاء نوايا خاصة بالقيم: المواطنة - التربية على حقوق الإنسان - العفة - الاحترام - التربية البيئية -... داخل المؤسسات التعليمية تتمحور أنشطتها حول الدعوة إلى ترسيخ هذه القيم وتنميتها؛

🌱 على مستوى المديريات الإقليمية والأكاديميات الجهوية: نقترح تنظيم مسابقات بين المؤسسات التربوية بمختلف الأسلاك تتعلق بمجالات قيمية معينة: القيم التواصلية وأهميتها في العلاقات الاجتماعية؛ قيم حقوق الإنسان وسبل تفعيلها؛ التربية على المواطنة والسلوك المدني؛ العناية بالبيئة وتنظيم فضاء المؤسسة وتشكيل مساحات خضراء داخلها: "المؤسسة الإيكولوجية" وكانت وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني قد أطلقت مشروعا في هذا السياق يُرجى تفعيله ومتابعته؛ أولمبياد التربية الإسلامية؛ مسابقات في القرآن الكريم والسيرة النبوية...

⁴⁰ - تقرير المجلس الأعلى للتعليم بالمملكة المغربية 2008. الجزء المخصص لهيئة ومهنة التدريس؛ ص: 17.

إصدار نشرات ومطويات خاصة بالتربية على القيم الجميلة من طرف الوزارة الوصية توزع على التلاميذ في مختلف المؤسسات؛

تفعيل الشراكات التربوية مع جمعيات المجتمع المدني المهتمة بالقيم والقضايا المرتبطة بها؛ وتنظيم أنشطة لفائدة المتعلمين في هذا السياق؛

استثمار الأيام العالمية المتعلقة بالقيم: بالمرأة؛ بحقوق الإنسان؛ بالمحافظة على البيئة.. لتنظيم أنشطة داخل المؤسسات التربوية وإنتاج مطويات وملصقات من طرف المتعلمين...

إن التربية على القيم تتطلب تضافر جهود جميع المؤسسات التربوية والإعلامية والأسرة وجمعيات المجتمع المدني والقطاعات الوصية من أجل ترسيخ قيم السلوك المدني والمحافظة على القيم الدينية والوطنية في نفوس الناشئة والكبار على حد سواء.

Bibliographie افيلا الدراسة

- وزارة التربية الوطنية: الميثاق الوطني للتربية والتكوين؛ أكتوبر 1999.
- وزارة التربية الوطنية: الكتاب الأبيض؛ لجان مراجعة المناهج التربوية المغربية للتعليم الابتدائي والثانوي الإعدادي والتأهيلي ربيع الأول 1423 يونيو 2002.
- المملكة المغربية، المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، (من أجل مدرسة الانصاف والجودة والارتقاء) رؤية استراتيجية للإصلاح 2030-2015.
- المملكة المغربية: المجلس الأعلى للتعليم؛ تقرير 2008.
- وزارة التربية الوطنية، مديرية المناهج، منهاج التربية الإسلامية بسلكي التعليم الثانوي الإعدادي والتأهيلي العمومي والخصوصي. يونيو 2016.
- وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني؛ الإطار المرجعي لاختبار الامتحان الموحد الجهوي للسنة الأولى من سلك البكالوريا؛ 21 نونبر 2016. مذكرة رقم 16/101.
- وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني؛ مديرية المناهج- ملحق دفتر التحملات الخاص بتأليف وإنتاج الكتب المدرسية؛ كتاب التلميذ(ة)- مادة التربية الإسلامية، جميع المستويات الدراسية بسلك الثانوي التأهيلي، يونيو 2016.
- أوزي أحمد، المعجم الموسوعي الجديد لعلوم التربية؛ منشورات مجلة علوم التربية العدد 42. طبعة 2016.
- الجلال، ماجد زكي. تعلم القيم وتعليمها. تصور نظري وتطبيقي لطرائق واستراتيجيات تدريس القيم. دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة. عمّان- الأردن. الطبعة الرابعة 1434/2013.
- الدريج محمد؛ الكفايات في التعليم؛. سلسلة المعرفة للجميع. العدد 16 منشورات رمسيس الرباط؛ أكتوبر 2000.
- علام؛ صلاح الدين محمود، القياس والتقويم التربوي والنفسي أساسياته وتطبيقاته وتوجهاته المعاصرة. دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، 2000.

- فارس محمد ومومني الراضي، إشكالية تقويم القيم في مادة التربية الإسلامية، الطبعة الأولى: 2018 منشورات مركز مداد. مطبعة أنفو برانت فاس.
- المنجرة المهدي؛ قيمة القيم؛ مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء؛ الطبعة الثالثة 2008.
- وهابي عبد الرحيم؛ المناهج التعليمية ومنظومة القيم؛ مطبعة أنفو برانت فاس
- المؤتمر الثالث لوزراء التربية العرب. جامعة الدول العربية - الإدارة الثقافية 1968.
- الدقاق عبد المنعم ، القيم في مادة التربية الإسلامية بالتعليم الثانوي التأهيلي بين التصور المنهاجي والتنزيل الديداكتيكي. (2017/2018) (بحث مرقون بمركز تكوين مفتشي التعليم بالرباط).
- مجلة دفاتر التربية والتكوين. العدد 3. (المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي).
- النداء التربوي، العدد 19، 2016-1437. مطبعة دار القلم، الرباط.
- مجلة الفرقان، العدد 76/1438-2016.
- Dictionnaire actuel de l'éducation. Guérin Montréal, Canada.2005 .
- Roegiers Xavier : une pedagogie de l'integration. De boeck. Bruxelles,2001,